

هل يمكن لفلسفة مادية أن تنتج منظومة أخلاقية؟ "الأبيقورية نموذجاً"

جورج الفار*

ملخص

الإشكالية الرئيسية في هذا البحث هي الجواب على السؤال المطروح عن إمكانية وجود منظومة أخلاقية مرتكزة على فلسفة مادية وليس على فلسفة مثالية ومتافيزيقية، كما جرت العادة في تأسيس المنظومات الأخلاقية، وبالفعل، وجدنا في الأبيقورية تلك الفلسفة المنشودة التي اعتمدت، في تأسيسها، على منظومة فلسفية مادية لا تمت للثانية ولا للميتافيزيقيا بصلة، بل تعتمد فلسفة ديموقريطس المادية الذرية كأساس نظري لها ولا تعتمد العقل ولا الشرائع الالهية كمعيار وحكم في المسائل الأخلاقية، بل الطبيعة، والاحساس باللذة، وتجنب الألم، كحكم عقلي للحياة الإنسانية والحيوانية على حد سواء. لذلك، تلأجأ هذه الفلسفة لتحرر الإنسان من الخوف من الموت، والخوف من الألهة، لثلا يفسد هذا الخوف والقلق حياة الإنسان، وبحرمائه من اللذذ بالحياة ذاتها. وقد كشفنا، في هذا البحث، أن اللذة التي يتحدث عنها الأبيقوريون، هي لذة البطن اساساً، ولكنها ليست لذة مستهترة، وبمبالغ فيها، بل لذة تتroxى البساطة، وتسعى إلى اقامة حياة هانئة وهادئة لا يعكرها الالم الناتج من السعي إلى الوصول إلى ذات أكثر، تكون نتائجها الحصول على الم أكبر. وبينت الدراسة دور الفيلسوف اليوناني أبيقور الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد وعاصر كلا من الفيلسوف اليوناني ارسطو والفيلسوف زينون مؤسس الرواقية التي ناهضت مدرسته الفلسفية في تأسيس الأبيقورية في أثينا اليونان ليستجب لأسئلة الجمهور اليوناني لضروريات المرحلة التاريخية وأنحدار المدينة بعد موت الأسكندر المقدوني سنة 324 ق. م.

الكلمات الدالة: أبيقور، الفلسفة الأخلاقية، الفلسفة المادية، الهلنسية، الميتافيزيقيا.

والفلسي الممكن إعطاءه من تاريخ الفلسفة؟

أفضل النماذج التي وجدناها، في تاريخ الفلسفة، هي الفلسفة الأبيقورية الذي أسسها أبيقور في القرن الرابع قبل الميلاد، وبعد أن بنى فلسفة مادية صلبة نسبياً على خطى ديموقريطس، أسس نظريته الأخلاقية المتجانسة والمنسجمة مع فلسنته المادية، وبنها على الإحساس، وعلى الطبيعة والشعور باللذة. وبالذات لذة المعدة لذا قمنا باستعراض الفلسفة الأخلاقية الأبيقورية في القرن الرابع قبل الميلاد بتأسيسه لمذهب أخلاقي هو المدرسة الأبيقورية الأخلاقية.

منهج البحث:

سيكون منهج هذا البحث تحليلياً مقارناً، بحيث تحلل الظروف السياسية والتاريخية والفكرية التي أثرت الفكر الأخلاقي اليوناني عاماً، والفكر الأبيقوري الأخلاقي والمادي

إشكالية البحث:

يحاول البحث حل إشكالية: "أساس المنظومة الأخلاقية"، ويتساءل هل يمكن بناء منظومة أخلاقية على أصل فلسفى مادى؟ أم أنه على الأخلاق أن تتأصل في الميتافيزيقيا، كما فعلت دائماً حيث أصلها أفلاطون في عالم المثل، وأصلها أرسطو في الغائية الكونية والإنسانية (أن تسير نحو السعادة، بسيرها نحو الخير، والجمال، والكمال)، أم كما فعل "كانت" مثلاً، فقد أرسىها على فكرة الحرية والواجب اللتان استمدتها من العقل، وتجعلتا الأمر الأخلاقي المطلق ممكناً.

وإذا كان الجواب بنعم، يمكن أن تتأصل الفلسفة الأخلاقية على أصول مادية طبيعية، مما هو النموذج الأخلاقي

* قسم الفلسفة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

تاريخ استلام البحث 27/3/2022 و تاريخ قبوله 26/10/2022.

عليها الفضائل الأخرى، وقد واجهت "كانت" هذه الإشكالية، أعني اشكالية بناء منظومة أخلاقية، أقامها على الميتافيزيقيا الجديدة فقد كان لسان حاله يقول: نحن نستطيع أن نفسر كيف يصبح الأمر الأخلاقي ممكناً، إذا انقلنا خطوة من التجربة إلى الميتافيزيقيا، فلم نبدأ بالتجربة، من تصور الإنسان لطبيعته من حيث هو كائن عاقل. وقد أجبرته فكرة الحرية على الذهاب إلى الميتافيزيقيا لأن فكرة الحرية التي استمدتها من العقل والتي تجعلني كإنسان عضواً في العالم المعقول هي الشرط الوحيد الذي يجعل الأمر الأخلاقي المطلق ممكناً. فالنسبة لم "كانت" فيجب عليَّ أنا الإنسان لا أقدم على الفعل إلا لأنني أجد أنه فعل صحيح وحق بذاته، وأنه يتتفق مع قاعدة سلوكى التي أستفيها من العقل الخالص ورفعتها إلى مستوى القانون الضروري المطلق. لذلك يتسائل "كانت": "أليس من صواب الرأي أن من أشد الأمور ضرورة إعداد فلسفة أخلاقية خالصة، نقية نقاء تماماً من كل ما يمكن أن يكون تجريبياً، ومن كل ما يتصل بعلم الإنسان (الأنترنوبولوجيا) بسبب" (كانت، 1980، ص 8).

فالميتا فيزيقيا تقدم له قوانين قبلية مركبة ليست بحاجة إلى التجربة لذلك، يقول "كانت": "فلا بد لهذه الميتافيزيقيا أن تسبقه وتتقدم عليها، وبغيرها لن يقوم لفلسفة أخلاقية وجود، بل إن الفلسفة التي تخلط تلك المبادئ الخالصة بالمبادئ التجريبية لا تستحق أن تسمى فلسفه(...)"، ولا تستحق أن تسمى فلسفة أخلاقية" (كانت، 1980، ص 9). فقد شعر "كانت" أن من واجب ميتافيزيقيا الأخلاق أن تتناول بالبحث فكرة ومبادئ الإرادة الخالصة الممكنة التطبيق.

لكننا نجد أن الأمر يختلف عند الأبيقوريين كما عند الكلبيين، فهم يكرسون ويبتغون فلسفة عملية تبني على الواقع والمحسوس، وتهدف إلى حياة سعيدة هانئة، ولا يقبلون بالفلسفة كتجه نظري بحث ومعرفه تأملية منعزلة، إنما يحاولون توظيف معرفتهم "المادية الطابع" في بناء منظومة أخلاقية واقعية تقوم على المادة والإحساس والمبادئ الطبيعية البديهية، والحقائق الممكنة والمحتملة، لا على حقائق "عقلية ومثالية" نظرية أو تأملية استبطانية أو استقرائية، كما كان يحلم كل من أفلاطون وأرسطو و"كانت".

خاصة. ثم سنحلل مقدرة أبيقور على بناء فلسفته الأخلاقية منسجمة انسجاماً تماماً مع فلسفته "النظيرية" المادية. لم نكتف بالتحليل، بل قارنا هذه الفلسفه مع فلسفه معاصريه من الفلسفه أعني أفلاطون وأرسطو، وفلسفه أحد الفلسفه الحديثين، أعني الفيلسوف الألماني "كانت" الذي خالف أبيقور، وحاول بناء منظومته الأخلاقية على العقل، وعلى الميتافيزيقيا.

أهمية البحث:

- تكمن أهمية البحث برؤيتي، في:
- 1 إعادة إحياء الفلسفه الأخلاقية الأبيقورية وبيان رؤية أبيقور الأخلاقية، بتقاديمها نموذجاً.
 - 2 الابتعاد عن المأثور في الأبحاث الأخرى التي لا تتناول البناء التأسيسي للمنظومه الأخلاقية وأصله الفلسفى.
 - 3 الابحاث بأن الفلسفه الأبيقورية يمكن أن تكون فلسفه راهنة، في ظل الظروف العالمية المشابهة التي يعيشها الإنسان المعاصر من تفكك في المنظومات السياسية، والاجتماعية، والفكرية، والاقتصادية العالمية، والوطنية.
 - 4 تجريب أي نوع من فلسفه طبيعية قريبة من الإنسان والطبيعة دون ابتدال دون تحويلها وزراً ميتافيزيقياً تقليلاً.
 - 5 إعادة التفكير بالفلسفات المادية كافة، وصلاحياتها لبناء الإنسان بناءً أخلاقياً متاماً، دون القول بأن الأخلاق يجب أن يكون مصدرها دينياً أو ميتافيزيقياً أو عقلياً.

المقدمة

اعتادت المنظومات الأخلاقية أن تؤسس نفسها على أساس ميتافيزيقي أو ديني، يضمن لها بعداً روحيأ، ويؤسس لها، نظرياً وتشريعياً، وتوسّس ذاتها على أوامر سماوية تتعدى المادي إلى الروحي والإلهي.

هكذا فعلت الفلسفه الأخلاقية الأفلاطونية، وكذلك إلى حد ما الفلسفه الأخلاقية الأرسطوية اللتان تأسستا على نشدان "الخير والحق والجمال"، وهي قيم روحية عليا على الإنسان أن يحاول توجيه أعماله كلها إليها، ليبلغ السعادة، ناهيك عن طلب التقوى عند سقراط والعدالة عند أفلاطون، والحكمة والفضيلة الوسطية والتوازن عند أرسطو التي تبني

(the apostle of common-sense) رسول الإدراك العام وهو يمتدح الحياة السعيدة، ومع ذلك فقد يكون من الخطأ افتراض أن عقidityه ينقصها حدة الإدراك أو أنها مجرد تعبر عن الراحة الذهنية "quitism" ولم يكن يوليوس قيسراً ولا قاتله كاسيوس (Cassius) ينعمان براحة ذهنية. وأبيقور في نظر لوكيتيوس هو أعظم محب للخير عرفته البشرية (ورنر، 1985، ص 186). والسبب في هذا، هو أنه حرر الإنسان من الخوف من الآلة، ومن الخوف، مما قد يجري للمرء بعد الموت، لقد أدى هذا العمل النبيل الذي هو في غاية البساطة وذلك بتغيير كل شيء حتى لم يعد هناك أي مجال للشك أو التلف. فطبيعة الأشياء معروفة ويمكن تفسيرها لأي شخص فيطمئن بما فيه الكفاية، لينصت إلى المحاوره" (ورنر، 1985، ص 188).

ومع هذا المدح والتجليل من أحد تلاميذه ومربيه إلا أن كثيراً من المعترضين والمنتقدين الأبيقوريين من معاصرى أبيقور نفسه كانوا قاسيين في نقدهم له مثل تيمون (Timon) الذي قال "ثم جاء من بعد ذلك آخر علماء الطبيعة وأكثراهم وقاحة وافتقار للحياة. وأعني به ابن معلم النحو الذي وفد من جزيرة ساموس وأجهل المخلوقات طرأ" (جيدي، 2019، ص 48).

لأبيقور شخصية خلافية لأن هناك آراء كثيرة ومتباعدة سردها أصحابها حوله، ومنها من سخرت منه ومنها من حاولت تقييده ووصفه بأرذل الأوصاف بحيث نسبت إليه رسائل فضائحية، ولم يتوان بعضهم عن وسمه بالأخلاقى والكافر والعربى فقد ذكر ثيموقريوس وكان تلميذا له في وقت ما من الأوقات أنه كان يوم يأكل إلى حد التقيؤ. بينما نجد في المقلب الآخر أن تلميذه هبرمارك قد كتب واصفاً حياة أستاذة بأنها "مقارنة بحياة غيره من الناس تبدو لنا كأسطورة بفضل لطافتها واعتدالها" (جيدي، 2019، ص 49). ربما جاء هذا الاختلاف من سوء فهمهم لشخصية أبيقور والأبيقورية كلها. فهل تفهم الأبيقورية على حقيقتها حتى اليوم؟ فقد ارتبطت في أذهان كثير من الناس بطلب اللذة، لذلك فمن يتهك ويطلب اللذة يسمى أبيقورياً إلى الآن.

أسس أبيقور مدرسته على أطراف أثينا، واقتني بيتاً ضيقاً إلى جانبه حديقة كُتب على مدخلها "أيها الغريب هنا ستتأخر

أقول إن نظرية أبيقور الأخلاقية مرتبطة ارتباطاً منطقياً بمنهجه العام وفلسفته المادية. لم تولد مثل هذه الفلسفة، في اللازمان واللامكان، بل في ظروف تاريخية معينة، وفي أثينا اليونان في القرن الرابع قبل الميلاد، وربما جاءت نتيجة للأحداث التاريخية، أي انهيار وتدحر نفوذ أثينا والمدن الإغريقية المستقلة بعد موت الإسكندر الكبير حوالي سنة 323 ق.م.، والانهيار التام للحضارة اليونانية أمام الحضارة الرومانية.

فقد بدأ في تلك المرحلة، أي بعد انهيار المدن اليونانية، ظهور "الفرد اليوناني" واكتسب تحرره من اعتماده على المدينة بطريقه ما، فقد أصبح مطلب الفرد اليوناني الشعور بالأمان بعد أن رأى مدنـه تفقد استقلالـها الواحدة تلو الأخرى. لذا جاء أبيقور ليقدم له منظومة أخلاقية جديدة تشعره بهذا الأمان الذي بات يطلبه. وهنا يطرح السؤال الأساس كيف: تمكن أبيقور من بناء فلسنته الأخلاقية على منظومة فلسفية مادية طبيعية دون أن يلجأ إلى الآلة أو إلى الفلسفـة النظرية ليؤسس عليها مبادئه؟

من هو أبيقور، وما هي الأبيقورية؟

"جاء في كتاب حياة ومذاهب مشاهير الفلاسفة القدامى "لدييجور الإيريسي"، بأن أبيقور قد نشأ وتربى في جزيرة ساموس بعد أن أوفد الأثينيون، مستوطنين إلى هذه الجزيرة، وأنه قدم إلى أثينا عندما بلغ الثامنة عشرة من عمره في أثناء الوقت الذي كان أكسينوغرatis (Xenokrates) وكان أسطو يلقى محاضراته في خالكيس (Chalkis) بعد وفاة الإسكندر المقدوني وطرد المستوطنين الأثينيين من ساموس على يد برديكاس (Perdikkas) ارتحل أبيقور إلى كولوفون (Kolophon) ليلحق بوالده هناك" (جيدي، 2019، ص 47).

انه لمن الواضح أن أبيقور ولد سنة 341 ق.م، وقضى شبابه في جزيرة ساموس وتتعلمـذ على أيدي أحد تلاميذ ديمقريطس "نوزيغانس"، ثم عاد إلى أثينا 306 ق.م، وأسس مدرسة جمع فيها عدد من الأصدقاء والمربيـين من نساء ورجال، ومات فيها، سنة 270 ق.م.

زامت الأبيقورية، الرواقية ويمكن أن يطلق عليها عقدتين (Creads) أو فلسفـتين فلقد وصف "سيريل بيلي" أبيقور أنه

تلاميذه ومجدوه، بل وصلوا إلى حد تأليهه. وقد أصبحت فلسفته أشبه بدين تمسكوا به واتخذوا القواعد الأبيقورية وحفظوها وتوارثوها.

فقد قال عنه لوكريتيوس "أنت من استطاع من أعمق الظلمات الحالكة جد الحالكة أن يجعل النور ينبع بمثل هذا السطوع، وأن يهدينا إلى الخيارات لهذه الحياة، إنني أتمثل بك يا مجد الشعب اليوناني، واليوم أضع قدمي على الآثار عينها التي خلفتها خطاك" (أبو حسين، 2004، ص 36).

وإذا تسائلنا لماذا استطاعت الرواية أن تتحقق مثل هذا الانتشار؟ لأجنبنا أن الرواية استطاعت أن تحقق بعض المطالب العميقية والدائمة للإنسان في الزمن القديم والزمن الحديث أيضاً. فقد قدمت نفسها على أنها طب الروح وعلاج النفس البشرية وطلب للحياة الهدئة.

على ماذا تقوم فلسفة؟

قسم أبيقور فلسفته إلى ثلاثة أقسام أولها في المعرفة (Connaissance) أو القانون (Canon) وفي الطبيعة (Physique) وفي الأخلاق (Ethic). وتقوم طريقته في النظر إلى الأشياء وفق رؤيته الشاملة التي تأسس على المادة والإحساس: "يجب في أول الأمر يا هيرودوت أن تعرف جيداً المفاهيم الموضوعة تحت الكلمات لكي نصل بها إلى موضوع آرائنا ومشاكلنا وشكوكنا، قبل أن نأخذ القرار بشأنها، ولكن لا نترك إلى ما لا نهاية براهيننا بدون قرار، أو لا يكون في حوزتنا إلا كلمات فارغة من المعنى" (بياربونايس، 1980، ص 87).

لا بد من أن نذكر أن أبيقور تأثر بفلسفة ديموقريطس بل أنه تتلمذ على يد أحد تلاميذ ديمقريطس المدعو "نوزيغانس" الذي وجد أبيقور في تعليمه مبادئ طبيعيات ترکز على نظرية ذرية (Atomistic) غير أنه ما لبث أن اختلف مع معلمه الذي سينهال عليه أبيقور فيما بعد بلواذع تعريمه (بران، 1992، ص 36).

وقد شرح لنا لوكريتيوس (51-95 ق.م) في قصيدته الشهيرة "في طبيعة الأشياء" فلسفة أبيقور شرحاً واضحاً. رأى أبيقور أن الذرات هي المكون الأساسي للكون وأنها من طبيعة متشابهة ويمكن للعالم أن يخلق نفسه انطلاقاً منها أو يمكنها

بطيبة خاطر هنا اللذة هي الخير الأسمى". وهو ما يفيد أنها على تعارض مع ما كتب على باب أكاديمية أفلاطون "من لم يكن رياضياً لا يدخل" (جديدي، 2019، ص 50).

بقيت مدرسه أبيقور، مفتوحة أمام الشغوفين بتعلم وتدارس الحكمة الأبيقورية لأزيد من خمسة قرون، بل يروى أن فروعها فتحت في مناطق أخرى غير أثينا، وكانت تدرس فيها تعاليم أبيقور المدونة في مؤلفاته المنقوشه على الحجارة بمثابة نصوص مقدسة. وكانت هذه التعاليم تتجدد وتتعزز على مر العصور. يكفي أن أحداً من أتباعه كتب نصاً في القرن الأول الميلادي يعتبر من أجود النصوص الأبية. ونقصد ما كتبه لوكريتيوس في قصيدته المشهورة في طبائع الأشياء (De rerum nature) حيث حفظ فيها آراء وحكم أبيقور ومجده (لوكريتيوس، 2018).

أما مؤلفات أبيقور فقد حافظ ديوجين لايريتوس على رسائله الثلاث "رسائل إلى هيرودوت"، "رسالة إلى بيتوكليس" و"رسالة إلى مينيكليوس" وعلى عدد من حكمه الأساسية التي سمحت لنا بالتعرف على محصل الفكر الأبيقوري. إلا أننا نجد أن الفلسفة الأبيقورية لا تحتوي إلا على اسم أبيقور الذي لم يكن خلاؤه إلا أتباعاً أمناء على تعاليم معلمهم الأكبر. أما أتباعه الأثئيون مثل ابيكتيوس وريليوس فقد حافظوا على فكر مؤسس الرواية وقد ساهمت الأفكار الخاطئة حول فلسفه أبيقور في إتلاف مؤلفات فيلسوف خصب ترك آراء كثيرة لم تصلنا (أبو حسين، 2004، ص 31). لم تستسغ المسيحية الناشئة في القرن الأول للميلاد فلسفة أبيقور حول اللذة، وهي التي تقيم دينها على الزهد الروحي، وليس على اللذة المادية. وكذلك كان الإمبراطور أغسطس قد قام بحركة رجعية استعاد فيها الفضيلة القديمة والديانة القديمة للإمبراطورية الرومانية. فكان من أثر ذلك أن امتنع الناس عن قراءة قصيدة لوكريتيوس "في طبيعة الأشياء". وظللت الأمور كذلك حتى جاءت النهضة الأوروبية فأعادت الاعتبار لهذا الشاعر ولالمذهب الأبيقوري نفسه.

أما وصية أبيقور فقد ضمن فيها بقاء مدرسته، وقد أوصى برئاستها وبالحديقة التي كانت لها إلى "هرمارخوس" من أهل ميتيلين. وتحوي هذه الوصية بطيبة قلب أبيقور، وحبه لأصدقائه ومربييه، حيث كانت الحياة في المدرسة بسيطة، وقائمة على الحب المتبادل، بين أفرادها، ولذلك أحبه

أن اسم أبيقور يفيد معناه "المخلص والمعالج والمسعف"، ويمكن أن يقول المرء أن فلسفة أبيقور الأخلاقية مرتبطة ارتباطاً منطقياً بمنهجه العام، وفلسفته المادية، التي تقوم على أن الإحساس دائماً يأتي نتيجة لاتصال مادي، كما أن الإحساس هو الأساس الوحيد للمعرفة في فلسفته، فالنفس عند أبيقور تتكون من نوع معين من الذرات هي الذرات الهوائية والنارية وذرات أخرى أكثر خفة وكثافة، هي علة الإدراكات الحسية وأساس الوظائف العقلية للنفس. أما الحواس والتصورات السابقة والمشاعر فهي معايير الحقيقة ويفسر الإحساس بأن "قد شوراً رقيقة غاية الرقة تبحث باستمرار من سطح الأشياء وتتحرك بسرعة في الهواء محتقطة بصور الأشياء المنبعثة عنها" (كرم، 2016، ص 240).

والحس هو المحك والمعيار الضامن لكل حكم صحيح (ورنر، 1985، ص 189)، إلا أن جزءاً صغيراً من النفس يتميز عن النفس والحرارة برقتها مما يجعله شديد الاتصال بالجسد، وهو ما يثبته بكل بداهة قوى النفس، وانفعالاتها، وسرعة حركتها، وتأملاتها.

فالعقل لا يحتل مكانة مركبة في فلسفته، مع أنها تقوم على مجموعة من المبادئ:

أ- تقوم فلسفته الأخلاقية على الاعتقاد بأن الآلة لا تهتم بشؤون البشر، فهي موجودة وتعيش بعالمها.
ب- كما تقوم على التحرر من الخوف والفرغ من الموت، فعندما نموت لا نشعر بالموت فلماذا الخوف منه منذ الآن. "إذا جاء الموت فلن أكون موجوداً، وإذا كنت موجوداً فلن أحس به" (ورنر، 1985، ص 190).

ج- لا يؤمن أبيقور بخلود الروح، ففلسفته أصلاً تقوم على المادة، فليس هناك روحًا لتخلد بعد الموت.

د- طلب اللذة بأنواعها المختلفة (معنى الحياة الهانئة) ومن ضمنها طلب الحكمة العملية.

لم يكن أبيقور ملحداً عديم الإيمان بالآلهة، بل لم يترك مناسبة يدعو فيها للتأمل في الآلهة والسير على منوالها، والتشبه بها من أجل الفوز بالنعيم الذي تنعم في مجتمعها. وعلى حد رواية "فيلوديموس" كان أبيقور مواطباً على الطقوس الدينية، وعلى الحفلات والأضحى. وبين كذلك أن أبيقور قد راعى بإخلاص كل طقوس عبادته، وأنه حرض أصدقائه على

هي أن تنشأ عالماً، إن هذه الذرات لم تستنفذ في خلق عالم واحد ولا في خلق عدد محدود من العوالم ولا في خلق عوالم متشابهة أو متباعدة حتى لا شيء يمنع وجود عدد لا متناهي من العوالم (جيجن، 1976، ص 76).

وفي نظر أبيقور أن الوزن خاصية من خصائص الأشياء الحساسة، ومن ثم فهو يضيف الوزن إلى الخصائص الأولى للذرات، ويعتبر الوزن علة حركتها، ويفترض أنها تمثل بطبيعتها إلى السقوط "إلى الأسفل" في فضاء، ولكن سيراً من الجسيمات يتحرك في خطوط متوازية مستقيمة بسرعة منتظمة.

يؤكد أبيقور أن آلية لحظة، ولسبب غير معلوم، قد تتحرف الذرات عن مسارها ونتيجة لهذا الانحراف الطفيف ستصطدم بذرات أخرى، ومن ثم ينشأ المركب الكامل للحركة الذي ينتج عنه كل الأشياء. وفي ذلك خالق ديمقريطس الذي يقول إن الذرات التي تتحرك في الفضاء يمكن أن تكون علة كل شيء ولا يحتاج الأمر إلى البحث عن علة أخرى، فأضاف أبيقور عنصراً جديداً إلى العلية هو الانحراف الطفيف "ليتجنب نظرية الجير التي نادى بها ديمقريطس. فاختار للذرات حرية الحركة". كما أنه استبعد وجود ذرات كبيرة جداً فلو كان لها وجود لاستطعنا أن نراها.

انقق موقف أبيقور مع فلسفة ديمقريطس على اعتبار أن الذرات والفضاء حقيقة نهائية، وهما في الواقع غير مدركين، ولكنهما أبعد من أن تتمكن مداركنا، فلا شيء يأتي من لا شيء، ولا شيء ينعدم ويعود عدماً (ورنر، 1985، ص 187). لذا فالإدراك العام (Common Sense)، في فلسفة أبيقور، يأتي نتيجة للإدراك الحسي البديهي الغافى والذي ليس بحاجة إلى برهان عقلي.

وكان "سيريل بيلي" قد أوضح في دراسته عن أبيقور، أن أبيقور الذي يعد واحداً من أكثر المفكرين الذين عاشوا ثباتاً على المبدأ، قد أدخل تعديلات جوهيرية على النظريه المادية لكي يجعلها موائمه لنظريته الأخلاقية التي نادى بها هو نفسه (ورنر، 1985، ص 188).

الفلسفة الأخلاقية عند أبيقور:
تقدّم الفلسفة الأبيقورية نفسها كأنها "طب الروح"، فقد استعمل أبيقور نفسه الفلسفة كنوع من العلاج والتطهير، ويقال

محدود بقدر ما نحررها من الرغبة في الخلود، وبذلك لا يمكن لأي شيء في هذه الحياة أن يحدث الرعب في النفس التي أدركت أن الموت لا يبعث على الخوف "عندما نكون، فالموت لا يكون وعندما يكون الموت فحن لا نكون"، وعلى هذا فإن الموت لا يعني الأحياء والأموات، لأنه لا يمتصلة إلى الأحياء ولأن الأموات لم يعودوا بعد موجودين (كارس، 1998، ص 51).

إن خوف الإنسان من الموت قد جعله يرغب في الخلود، ويصوب اهتمامه نحو حياة أخرى، فحن عادة لا نعياً بالزمن الماضي الذي لم نعش، ولا نندم على القرون الطويلة التي لم نوجده فيها، ولكننا نرعب في العيش إلى الأبد ونخشى الرجوع إلى العدم، ففكرة الذهاب إلى العدم ترعبنا لذلك ثبت كل ما يمنحنا وعداً بالخلود.

إن ما أراد أبيقور توصيله إلى الإنسانية، حسب هنري توماس هو: "إن يد الموت البيضاء تقودنا بطف إلى نوم لنيذ لم تكر صفوه الأحلام، فما الموت إلا الحارس المحب الذي يوقع الإذن بإطلاق سراحنا من عالم المجانين الذي هو هذا العالم، إلا أن الموت لهو الطبيب الرقيق الذي يشفيانا من أشد الأمراض فتكاً، أعني به مرض الحياة" (توماس، 1964، ص 150).

لقد دعا أبيقور الإنسان إلى أن يستمتع ب حياته الحاضرة لأن ما بعدها فناء وأن يشارك الذرات رقصاتها غير الهدافة عبر لا نهاية الفضاء.

كما نبه أبيقور إلى عدم الخوف من "القدر" أي فكرة الترابط الكلي للأشياء. فأبيقور يقول: "إن الذرات تبدأ بانحرافها حركة تلغى قوانين القدر، حينما تمنع العلة من إتباع العلة إلى ما لا نهاية له، إن تلقائية الذرات هذه هي الينبوع الذي تصدر عنه حرية الإنسان". ويصرح أبيقور: "ليس لنا أن نخشى القدر لأننا أسياد سلوكتنا" (فرنر، 1968، ص 208).

فأبيقور يؤمن أن الإنسان سيد سلوكته، وليس للقدر عليه من سلطان لأنه حر للإرادة فيما يفعله ويسلكه وليس هناك معلولاً وعلة كما صرخ ارسطرو.

الإرادة:

علم أبيقور بأن الموجودات البشرية قوى فاعلة أخلاقية ومستقلة، وأن رغباتهم وأحساسهم نابعة عن كل ما هو

التقييد بها، فالصلة إحدى مميزات الحكم وليس لأنها تقينا من غضب الآلهة، وإنما لأننا ندرك تفوق طبيعة الآلهة على طبيعتنا قوةً وكمالاً (سعيد، 1991، ص 89). ومع ذلك يوحى أبيقور بعدم الخوف من الآلهة وعيش الحياة دون هذا الخوف. أما ملخص فلسفته فإن الآلهة بعيدة جداً لا تستطيع أن تراقبكم أو أن تحكم في أعمالكم، أو أن تقذف بكم إلى الجحيم. أما الآلهة الخبيثة والشياطين فهي أوهام تُعْسَه تصوّرها لنا الأحلام (ديورانت، 2001، ص 169). وقد انكر أبيقور وجود أي عناية إلهية في العالم، بل كان العالم لديه يسير سيراً آلياً وفقاً لقوانين الحركة الذرية، وقد نفى الآخرة، وخالد النفس، والحساب الأخروي.

وعندما تساءل أبيقور عن الغاية التي صنع الآلهة العالم من أجلها، فقد أجاب "أنهم كانوا قد صنعوا لكى يكون مستقرأ لهم، فإن هذا يعني أنهم لم يكن لهم مأوى منذ القدم"، أما إذا كان من أجل العالم والملحوقات، فكيف تخلق الآلهة هذا العالم ونحن نعلم ما ينطوي عليه من فساد وذبوع الشرور، وكذلك ما يوجد فيه من صحراءات قاحلة وحيوانات مفترسة وأمراض وفيات للصغار. هذه الشرور والكوارث كلها أليست في ذاتها الدليل القاطع على انعدام تدخل الآلهة الحاصلة على الكمال المطلق (أبو ريان، 1974، ص 268-269).

عدم الخوف من الموت

واجه أبيقور الموت بدون خوف ولا فزع، رغم نفيه لخلود النفس واليوم الآخر، وقد أثبت أن الموت يضع حدًا للحياة إلا أنه ليس من الضروري أن تتغصّ فكرة الموت حياتنا وأن تلحق بها القلق والاضطراب.

وقد قام أبيقور بمحاولة تخلص الفكر البشري من الموت، وذلك بإنكار وجود حياة أخرى تعقب الحياة الدنيا، وإثباته لانحلال النفس بعد الموت ولفقدانها الإحساس، يقول أبيقور: "أن الموت لا شيء بالنسبة إلينا، تعود على اعتبار الموت لا شيء بالنسبة إلينا، إذ يمكن كل خير وشر في الإحساس، والموت هو الفقدان الكلي للإحساس" (In: Sauders, 1966, p 108).

فالموت لا يمت إلينا بصلة، ومعرفتنا بذلك تجعلنا نقدر مباھج هذه الحياة القصيرة حق قدرها، فلا تضييف إلينا زماناً لا

كما توجب الصداقة النزاهة والحب والعطف كي تكون دائمًا مصدراً للذة والسعادة. فالحكيم الأبيقوري كانت لديه صداقات متعددة وكان أميناً لأصدقائه، وكانوا هم في أغلبهم أمينين لصداقته، فالحكيم بالنسبة له كان يصبر على فقد أعز أصدقائه لأنه يذكر دائمًا السعادة التي حظي بها في صحبتهم.

ما يهمنا هو إيلاء أبيقور هذه الأهمية للصداقة واللذات المختلفة مما يدل على وسع أفقه وسعة صدره. فالصداقة عند أبيقور، من اللذات الاجتماعية المرغوب بها.

وقد قال فيه فولتير يوماً: "كان أبيقور على مدى حياته فيلسوفاً حكيمًا" (في: طرابيشي، 2006، ص 41). وبسبب اعتداله فقد كان عادلاً وحده بين الفلسفه وبين جميع تلاميذه وأصدقائه، وكذلك كانت شيعته ولم ت分成 إلى عده شيع.

اللذة أم الحياة الهائنة؟

اللذة الحقيقية عند أبيقور هي اللذة الجسمية، بل لا وجود إلا لنوع واحد من اللذة هي اللذة الجسمية فقد أقر أبيقور أن الإنسان والحيوان، يطلبان بطبيعة الحال اللذة ويتخاشيان الألم منذ ساعه الميلاد بميل طبيعي" (في: كرم، 2016، ص 241).

لذلك، فالسعي وراء اللذة هو سعي طبيعي لا عقلي، وعلى ذلك لا موجب لتأنيب من يرغب في اللذة. وكأننا نعيّب عليه رغبته فقد قال: "إن الإنسان يتوجه نحو اللذة قبل حصول أي فساد لطبيعته، فالطبيعة هي ذاتها التي تحكم من خاله بصفاتها وكمالها" (سعيد، 1991، ص 112).

ترجم فكرة اللذة والألم عن الإحساس باللذة والألم، بل يمكن القول بأننا نفكر لأننا نحس ونشعر، ولأننا نتأذن ونتألم، فقد رفع أبيقور الإحساس عاليًا بالمقارنة بما فعله كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو بشأن العقل، بعد أن كانوا يحطون من شأن الإحساس.

كل لذة إذن هي لذة فيزيائية أي طبيعية، هي انطلاق الإنسان من الطبيعة وعودته إليها وليس اللذات الروحية إلا تتواءات من هذه اللذة الطبيعية. وبذلك يمكننا القول إن اللذات جمیعاً وحتى لذات النفس تبقى دائمًا جسمية. فلذات النفس مشروطة براحة الجسم، بل هي راحة الجسم عينها.

الطبيعي، ومن شعورهم بها، وإلا لما كانوا مسؤلين عن أخطائهم أخلاقياً وقانونياً.

كما رفض فكرة القدر عند الرواقيين والتي ترى أن القدر هو العقل الكلي من حيث إنه علة عامة لجميع الموجودات ومن حيث إنه يحدث التسلسل في العلل الخاصة الجزئية. فالإرادة عند أبيقور حرّة تماماً من تأثير القدر، وإذا كان الإيمان بوجود قانون القدر الصارم سوف يلغى تماماً احتمالية الاستدلال العقلي، بل ويلغي تماماً دور العقل وتند هذه الاحتمالية كل فعل إلى الآلية الجامدة.

ولا يعترف أبيقور بالاحتمالية فقد رأى أن القضيّتين المتلاصقتين حول حدوث مستقبل لا تتصف أي واحدة منها بالصدق إذا كانت إدحاماً صادقة بالضرورة في المستقبل لأن الحديث المستقبلي محدداً قبل أن يكون، ولانتفت حرية الإرادة والاختيار، فالصادق حقاً هو الواقع حقاً أي حدث فعلًا. فهو يؤمن بالحركة التقائية للذرات، لذلك لا يؤمن بالحظ ولا بالصدفة ولا القدر المحتوم. فالصدفة متغيرة متبدلة، ولكن أفضل شيء يمكن للإنسان الاعتماد عليه هو ذاته، فهو الذي يستمد قوته اللازمة للتتصدي للظروف الطارئة والخارجية عن ذاته، معبراً بذلك عن قدرته الباطنية وإرادته الحرة.

الصداقة:

أعلن أبيقور أن كل ما يمكن أن توفره لنا الحكمة لتأمين سعادة الحياة، إن اكتساب الصداقة هو أكثر الأشياء ثمناً، وقال عنها: أنها سر مقدس تشرف كل صدقة إنسانية وتنضيء اللحظات الأكثر ظلمة في الحياة ولقد "كان عدد أصدقاء أبيقور فقيراً جداً حتى ليتعذر تعدادهم بمدن كاملة" ريوخانيوس الاليري (طرابيشي، 2006، ص 41).

وذهب أبيقور إلى أن الصداقة يستحيل أن تتفصل عن اللذة، لذلك وجب غرس بذورها في النفوس لأنه بغير صدقة يتغدر العيش الآمن الخلالي من الخوف كما يتغدر العيش اللذيد.

ويرى أبيقور أن الصداقة تشترط البساطة، فوجبة من الخبز والشعير كانت كافية لسد رمقه لو أنه تناولها في حضرة أحد الأصدقاء، فإذا كان من المهم أن تعرف ماذا تأكل وشرب فإنه من الأهم أن تعرف مع من تأكل.

أما عن طبيعة اللذة، فيحدثنا أبيقور نفسه: "عندما نقول إن اللذة هي الخير الأعلى، فنحن لا نقصد لذات الفاسقين ولا الذات التي تقوم في المتعة الجسدية، كما يقول البعض إما أنهم لا يواافقون على مذهبنا، أو لأنهم يسيئون فهمه. إن اللذة التي تحدث عنها تقوم في غياب ألم الجسم واضطراب النفس. إلا أن غياب الألم هذا ليس اللذة كلها، لأن اللذة التي تحدث عنها ليست لامبالاة وجثة هامدة، بل هي مشاركة مباشرة بما تقدمه الطبيعة. وهذا التوازن ما بين غياب الألم واللذة هو الشرط المباشر للذة. فاللذة تحدث بشكل طبيعي ومن تلقاء ذاتها عندما يتحقق التوازن الفيزيولوجي في الكائن الحي بفعل العمل الطبيعي للأعضاء".

اللذة عند أبيقور، هي نوع من المعطى الطبيعي فهو يدل على أن اللذة هي الخير الأعلى بحقيقة أن الكائنات الحية تتوكى اللذة وتتجنب الألم منذ ولادتها بميل طبيعي ودون محاكمة. ويقول "Jean Brun" يوجد في أساس الأبيقورية برمتها تفاؤل (Optimism) كامن، هو نوع من غائية (Finalite) تحتية في كل مذهب طبيعي، يؤكّد أبيقور أن ولوح اللذة سهل، لأن الطبيعة تضع سبل ولوح هذه التجربة العليا في متداول أولئك الذين يعرفون اكتشافها. وهكذا يتضح أن اللذة الحقة واحدة، وأن ما ندعوه لذات ليس إلا تنويعات هذه اللذة الواحدة (بران، 1999، ص ص 104 – 105).

ويحزمنا أبيقور من اللذات الجالية للألم المستقبلي فما من لذة في ذاتها شر، غير أن بعض اللذات تجلب معها من الآلام أكثر من اللذات، ويضيف من دون دراسة الطبيعة لا يمكننا أن نحصل على لذة صافية. ولكن الذاكرة تلعب دوراً عند الأبيقوريين، فنفسنا تسمح لنا أن نتذكر لذات ماضية بغية أن ننجو من الآلام خاصة إن لم يكن باستطاعتنا اجتنابها.

وحتى يكون الإنسان سعيداً طيلة حياته يكتفي أنه كان سعيداً مرة واحدة. فالحكيم قادر دائماً على أن يكون سعيداً لمجرد ذكرى غبطة ماضيه: "يجب أن نعامل كل ألم باحترار، فالآلم الذي يضئنا أشد الضئني لا يدوم إلا وقتاً قصيراً والألم الذي يتمكن من جسدينا مدة طويلة لا يحدث إلا عملاً طفيفاً" (بران، 1999، ص 96).

فالأبيقوري هو الساعي إلى بلوغ السكينة (Ataraxie)، ذلك يحاول أن يحذف كل أسباب الاضطراب الذاتي كالأفكار

لقد ساوي أبيقور بين اللذة والسعادة، فالنسبة له فقد قصد اللذة تلك التي تدوم حياة كاملة. لذلك علينا أن نكون مستعدين لتحمل الألم من أجل لذة قائمة أكبر، و يجب أن تجعل اللذة الإنسان حرّاً سيداً لنفسه (Maries, 1966, p 96).

فقد أكد أبيقور أن لذائذ العقل تتميز عن لذائذ الجسم، بأنها تمكننا من أن ندرّب أنفسنا على التفكير في اللذة أكثر من التفكير بالألم، ولهذا تكون أكثر سيطرة على زمام اللذائذ العقلية منا على اللذائذ الجسدية (ستيس، 2008، ص 29).

ولقد ميز أبيقور بين اللذائذ "الفاعلة" واللذائذ "القابلة" أي اللذائذ "الحركية" واللذائذ "السكنوية"، فاللذائذ الحركية تتتألف من بلوغ غاية منشودة، على أن تكون الرغبة السابقة لبلوغ الغاية مصحوبة بالألم؛ أما اللذائذ السكونية فتكون في حالة التوازن التي تنتج عن حالة ما تتعلق به الرغبة لو امتنع وجوده. ولهذا ينتهي به الرأي من الوجهة العملية إلى اعتبار التخلص من الألم لا قيام اللذة، هدفاً للرجل الحكيم؛ فقد تكون المعدة أساساً لكل شيء.

ولكن آلام أوجاع المعدة ترجح لذائذ النهم، وبناءً على ذلك أخذ أبيقور نفسه بالعيش على الخبر يضيف إليه أيام الموسام قليلاً من الجبن وأما الرغبة في الثروة والجاه وأمثالها فضرب من الحماقة، لأنها تبث القلق في نفس الإنسان، حتى يستطيع أن يستسلم للرضى "إن أعظم الخير هو الحكم، فهي أنفس من كل شيء حتى من الفلسفة" (طرايسي، 2006، ص 41)، كما جاء في تعاليم أبيقور أن من سمات الرجل الحكيم أن يحاول العيش مستوراً عن الأنظار، حتى لا يكون له أعداء.

أما موقفه من الفلسفة فيقوم على فهمه للفلسفة بأنها نظام عمل يراد به الحصول على حياة سعيدة، ولا تحتاج إلا إلى الإدراك الفطري السليم، لا إلى منطق أو رياضة أو غيرها من الدراسات الدقيقة التي قام وأوصى بها أفلاطون، لذا تراه يستحب تلميذه وصديقه الشاب "فيتوفليس" أن يفر من ضروب الثقافة.

فكان من النتائج الطبيعية التي ترتب على مبادئه أن أوصى بأن ننسحب من الحياة العامة لأن بمقدار ما يحصل عليه الإنسان من القوة يزداد عنده أولئك الذين يهدون عليه ويهدون أن نقع في الأذى.

تطلب أمراً ميتافيزيقياً مثالياً، بل ستطلب منظومة أخلاقية تشبهها في ماديتها وواقعيتها، ومع ذلك لم يعد وجود أخلاق سامية في منظومته، ولم يكن يرى أن بين اللذة وبين البهجة التي يطلبها تعارضاً أو نفوراً، فمثلاً هو يقول: "من الحال العيش في بهة بدون أن نعيش في فطنة وشرف وعدل، ولا يمكن مرة أخرى العيش في فطنة ولا شرف ولا عدل، ومن لا يحيا حياة فاضلة لا يمكن أن يحيا حياة بهيجه".

وعندما يطلب منه أن يشرح ما هي البهجة فإنه يتدارك أمره ويقول: "ليست البهجة بالشيء السيء في ذاته، ولكن الوسائل التي تسبب بعض المبالغ تجلب معها اضطرابات قد تكون أعظم من المبالغ مرات عديدة" (أبو حسين، 2004، ص 131).

جعل أبيقور الأحساس هي الحكم والمعيار الصادق الذي يجعلك تميز من بين الزائف وال حقيقي من الذات التي تتصل بها. لذلك لو تغاضي عن أي إحساس وعجزت عن التمييز بين نتيجة الرأي بالنسبة للمظهر الذي ينتظر تأييدها، وذلك الذي يعطي بالفعل الإحساس أو الشعور فالجأ إلى إحساسك الذي يعطيك الرأي الصائب أفضل من الخلط في الآراء أو الحدوس العقلية التي لن تقطع شاك بين الخطأ والصواب. فاللذة هي لذة فيزيائية بالمعنى الاشتقاقي والدقيق للكلمة أي طبيعية، وليس اللذات الروحية كما قلنا سابقاً إلا تنويعات من هذه اللذة الطبيعية، وهنا يأتي شقاء الإنسان من الظن أي التخلي عن ما هو مطابق للطبيعة "ليس البطن هو الذي لا يشبع كما يعتقد ذلك الكثيرون، بل الظن الخاطئ الذي لدينا من سعنه اللامحدودة" (أبو حسين، 2004، ص 132).

أما الدور الذي تقوم به النفس التي تتحلى بالرغم من كونها جسمية هو انتشال الجسد من عدم استقرار الضغط والصيرونة "لو كانت كل لذة تستطيع أن تتراءم ولو كانت تدوم خلال الزمان ولو كانت مرتبطة بكل التجمع الذري أو بالأجزاء الرئيسية من طبيعتنا لو كان ذلك لما تباينت اللذات فيما بينها" (أبو حسين، 2004، ص 137).

فكيف يستطيع الذكاء الإنساني مع الصدمات التي تهيج الجسد بفعل الألم أن يحافظ على ذاته حالياً من الاضطراب مع سهره على خيره وصحته البدنية؟ حسب أبيقور يمكن فعل ذلك بتجاهل الآلام الجسدية

والاضطراب الطبيعي كالمرض، وقد حاول أبيقور أن يعيش حياته سعيداً ووقدراً وكان يكتفي بقليل من الطعام الراهن للوصول إلى هذه الغاية ولا يخاف الموت أو الألم. وحتى أنه أوصى الحكيم بعدم الزواج وإنجاب الأطفال. ويقول: إن العدالة الطبيعية تسعى أن تجنب البشر أن يؤذى بعضهم بعضاً وهي لا شيء في ذاتها فهي ليست سوى تعاقد.

وقد حافظ أبيقور على تفاؤله حتى عندما كان يتكلم عن الألم "الألم لا يستمر في الجسد طويلاً فالألم الحاد يدوم مدة قصيرة جداً والألم الذي يمكن تحمله، ولكن يتجاوز لذة الجسد ويدوم بضعة أيام" (بران، 1999، ص 96).

كيف أقام أبيقور فلسنته الأخلاقية على أساس مادي:

عادة ما تقام الفلسفات الأخلاقية على أساس ميتافيزيقي مثالي، فالعدالة مثلاً هي أحد المثل الأفلاطونية أو إحدى الكليات الأرسطية أو إحدى القيم الأخلاقية السقراطية، والحرية هي قيمة يستمدتها الإنسان من العقل حسب كانت، فكيف يمكن لأبيقور الذي لا يقيم وزناً لهذه الفضائل "العدالة"؟ أن يقيم فلسفة عملية أخلاقية؟

كان أبيقور واضحاً، منذ البدء، فقد نظر إلى حاجات الإنسان لا إلى تطلعاته، فلو دققنا النظر في فلسنته نجد أن غاية الحياة هي "البهجة"، ولا شيء غيرها. ما دام معيار "الخير" هو البهجه فلا يمكن لأي بهجه أن تكون أفضل أو أسوء من غيرها. ولكن يمكن أن تكون أكبر منها أو دونها. فأبيقور يخلص على أساس الإحساس إلى نتيجة مفادها "أن بداية وأصل كل الخير هو متعة المعدة، بل لا بد من إرجاع الحكم والثقافة إلى هذه" (ورنر، 1985، ص 189).

المهم إن الإحساس، بالنسبة لأبيقور، يتقدم على العقل والمعرفة، فالإحساس هو الأساس الذي يبني عليه فلسنته فليس هناك من علة في طبيعة الأشياء لماذا سيكون صالحًا عن أن يكون طالحاً، سوى أحسن علة وهي أن يستمتع بمزيد من البهجة لو كان صالحًا، والوسيلة لبلوغ هذا الهدف ستتجدها في المعيشة المقتصدة وفي الصدقة في مباحث الحديث، بل وفي تأمل الآلهة الذين بحكمهم لا يبالون على الإطلاق بأمر البشرية.

عندما أقام أبيقور فلسنته على المادة، وعلى الذرة، في انحرافاتها، كان يعلم تمام العلم أن هذه الفلسفة المادية لن

ليعرفوا كيف عليهم أن يسلكوا في حياتهم اليومية. فجاءت المدارس والمذاهب الأخلاقية كالرواقية والأبيقورية والكلابية والشكّية وغيرها لتسد الفراغ الحاصل، وتلبي حاجة الناس إلى الحكمـة العملية، وإلى طرق مناسبة للعيش.

أما انقسام الناس حول أبيقوـر من معجبين ومحتمسين إلى ناديين وساخطـين، فإنه يدل على قوة تأثير أبيقوـر والأبيقوريـة في المجتمع اليوناني في زـمنه، فقد هاجـمهـ كل من الرواقـية والمسيحـية لدعـوتهـ إلى التـلذـذـ بالـعـيشـ وإـلـىـ الـبـهـجـةـ وإنـقـانـ فـنـ الـحـيـاـةـ،ـ بـيـنـماـ أـيـدـهـ الـآـخـرـونـ الـذـيـنـ كـانـوـاـ يـرـوـنـ فـيـهـ مـثـالـاـ لـلـحـكـمـ الـذـيـ عـلـمـنـاـ فـنـ الـحـيـاـةـ،ـ وـخـلـصـ النـاسـ مـنـ الـخـوفـ مـنـ الـمـوـتـ،ـ وـالـآـلـهـةـ،ـ وـأـرـشـادـهـ إـلـىـ طـرـيقـ طـبـيـعـيـ فـيـ عـيـشـ الـحـيـاـةـ مـنـ دـوـنـ أـنـ يـلـزـمـهـ بـشـرـائـعـ مـاـ وـرـاثـيـةـ.

لـذـاـ فـإـنـ النـتـائـجـ الـتـيـ خـلـصـنـاـ إـلـيـهـاـ تـلـخـصـ فـيـ مـجـمـوعـةـ مـنـ مـبـادـيـ الـتـيـ اـخـطـطـهـ أـبـيـقوـرـ لـفـسـفـتـهـ وـلـفـسـفـتـهـ:

1- لا تفصلـ الحكمـةـ الـعـمـلـيـةـ عنـ الـفـلـسـفـةـ الـنظـرـيـةـ ولكنـ يـمـكـنـ تـوجـيهـ الـفـلـسـفـةـ ذاتـهاـ نحوـ إـنـتـاجـ حـكـمـ عـمـلـيـةـ "ـالـفـلـسـفـةـ الـأـخـلـاقـيـةـ"ـ مـثـلـ الـتـيـ أـنـتـجـهـ أـبـيـقوـرـ.

2- الـفـلـسـفـةـ بـنـتـ عـصـرـهـ،ـ وـكـانـ أـبـيـقوـرـ اـبـنـ عـصـرـهـ حـقـاـ،ـ حـيـنـماـ أـنـتـجـ فـلـسـفـةـ عـمـلـيـةـ لـأـبـنـاءـ أـثـيـنـاـ وـالـيـونـانـ يـدـلـهـمـ فـيـهـ عـلـىـ الـهـدوـءـ وـالـبـهـجـةـ فـيـ زـمـنـ مـضـطـرـبـ يـبـحـثـ فـيـ الـفـرـدـ عـنـ طـرـيقـ وـأـخـلـقـ لـيـعـيشـ حـيـاتـهـ.

3- اـنـسـجـ أـبـيـقوـرـ مـعـ ذاتـهـ وـمـعـ مـبـادـيـ الـفـلـسـفـةـ الـذـرـيـةـ المـادـيـةـ الـتـيـ أـخـذـهـ مـنـ دـيمـقـرـطـسـ بـعـدـ أـنـ قـامـ بـتـعـدـيـلـاتـ طـفـيـفـةـ عـلـيـهـ،ـ لـتـنـاسـعـ إـيمـانـهـ بـحـرـيـةـ الـإـرـادـةـ الـإـنـسـانـيـةـ.

4- عـاـشـ أـبـيـقوـرـ حـيـاتـهـ وـفـقـاـ لـتـعـالـيمـهـ،ـ فـلـمـ يـكـنـ جـشـعاـ طـمـاعـاـ وـكـانـ يـنـعـمـ بـالـقـلـيلـ مـنـ الطـعـامـ،ـ وـبـالـكـثـيرـ مـنـ الصـادـقةـ وـالـأـصـدـقاءـ وـالـمـرـدـيـنـ.

5- يـمـكـنـ لـفـلـسـفـتـهـ أـنـ تـنـتـجـ فـلـسـفـةـ أـخـلـاقـيـةـ طـبـيـعـيـةـ تـسـجـمـ فـيـهـ فـلـسـفـةـ الـأـخـلـاقـ الـمـادـيـةـ لـتـكـ الـفـلـسـفـةـ،ـ حـيـثـ أـقـامـهـ أـبـيـقوـرـ عـلـىـ الـإـحـسـاسـ بـالـمـادـةـ وـالـذـرـاتـ وـلـمـ يـتـرـكـ الـعـقـلـ وـلـاـ الـبـعـدـ الـنـظـريـ أـنـ يـسـوـدـهـاـ،ـ فـأـفـلـحـ فـيـ إـنـتـاجـ فـلـسـفـةـ أـخـلـاقـيـةـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ أـصـلـ مـادـيـ طـبـيـعـيـ لـاـ مـيـتـافـيـزـيـقـيـ.

والـانـشـغـالـ بـأـمـورـ أـكـثـرـ أـهـمـيـةـ،ـ فـالـأـلـمـ لـيـسـ باـقـيـاـ فـيـ الـجـسـمـ بـيـنـماـ تـدـوـمـ الـلـذـةـ وـالـسـعـادـةـ وـالـوـقـارـ طـوـالـ الـعـمـرـ.ـ فـالـأـلـمـ الـجـسـدـيـةـ لـشـيءـ فـيـ مـقـابـلـ الـمـأسـيـ وـالـمـصـائبـ الـتـيـ نـقـاسـيـ مـنـهاـ وـالـتـيـ تـنـتـجـ عـنـ الـبـغـضـ وـالـحـسـدـ وـالـاحـتـقارـ.

الـمـرـتـكـزـ الـأـوـلـ الـذـيـ أـقـامـ أـبـيـقوـرـ فـلـسـفـتـهـ عـلـيـهـ هـوـ الـطـبـيـعـةـ،ـ الـمـكـونـ الـأـوـلـ مـنـ ذـرـاتـ تـتـرـكـ،ـ وـعـنـ حـرـكـتـهاـ تـتـكـونـ الـأـجـسـامـ وـالـجـوـاهـرـ،ـ وـبـمـاـ أـنـ إـلـيـانـ اـبـنـ لـهـذـهـ الـطـبـيـعـةـ فـيـصـلـهـ الـإـحـسـاسـ فـيـهـاـ وـمـنـهـاـ،ـ وـمـنـ خـلـالـ هـذـهـ الـطـبـيـعـيـ الـمـوـجـودـ فـيـ إـلـيـانـ وـالـحـيـوانـ يـدـرـكـ إـلـيـانـ لـلـذـةـ وـيـحـاـولـ أـنـ يـتـجـنـبـ الـمـوـتـ.

وـتـكـمـنـ الـلـذـةـ فـيـ الـمـعـدـةـ،ـ وـيـمـكـنـ لـإـلـيـانـ أـنـ يـقـرـرـ نـوـعـ الـلـذـاتـ الـتـيـ يـتـلـذـذـ بـهـاـ بـإـرـادـةـ حـرـةـ وـلـدـتـهاـ انـحـرـافـ الـذـرـاتـ فـيـ الـطـبـيـعـةـ.ـ وـأـمـمـ مـاـيـمـكـنـ أـنـ يـنـشـدـهـ إـلـيـانـ هـوـ تـجـنـبـ الـأـلـمـ لـذـكـ يـطـلـبـ الـلـذـاتـ الـتـيـ لـاـ تـسـبـبـ أـلـمـاـ،ـ إـذـاـ كـانـ هـنـاكـ أـلـمـ مـعـنـىـ عـلـىـ إـلـيـانـ أـنـ يـتـحـمـلـ بـطـيـبـةـ خـاطـرـ،ـ وـأـنـ يـتـجـنـبـ الـلـذـاتـ الـتـيـ تـوـلـدـ أـلـمـاـ أـكـبـرـ مـنـهـ وـيـسـعـىـ إـلـىـ حـيـاةـ هـانـئـةـ سـعـيـدةـ.

أـمـاـ الـمـرـتـكـزـ الـثـانـيـ،ـ فـهـوـ تـجـنـبـ الـخـوـفـ مـنـ الـآـلـهـةـ،ـ وـمـنـ الـمـوـتـ،ـ وـبـذـلـكـ يـخـفـضـ أـبـيـقوـرـ قـلـقـ إـلـيـانـ وـخـوـفـهـ مـنـ الـمـوـتـ،ـ وـلـاـ يـسـهـمـ أـبـيـقوـرـ فـيـ وـعـدـ بـالـخـلـودـ وـاـنـشـغـالـهـ بـالـمـوـرـائـيـاتـ وـالـعـيـبـيـاتـ لـأـنـ إـلـيـانـ هـوـ كـائـنـ طـبـيـعـيـ يـحـسـ وـيـشـعـرـ لـذـاـ مـنـفـعـةـ مـنـ اـنـشـغـالـهـ بـالـمـيـتـافـيـزـيـقاـ.

النتـائـجـ:

رأـيـنـاـ كـيـفـ أـبـيـقوـرـ كـانـ يـسـخـرـ فـلـسـفـتـهـ وـمـعـرـفـتـهـ لـتـخـدـمـ نـظـرـيـتـهـ الـأـخـلـاقـيـةـ وـكـنـاـ نـتـسـاءـلـ هـلـ تـبـنـىـ أـبـيـقوـرـ فـلـسـفـةـ الـمـادـيـةـ الـذـرـيـةـ تـحـديـداـ لـيـنـتـجـ فـلـسـفـتـهـ الـأـخـلـاقـيـةـ أـمـ فـعـلـ الـعـكـسـ،ـ أـنـتـجـ فـلـسـفـةـ أـخـلـاقـيـةـ فـيـ الـبـدـءـ وـعـادـ رـبـطـهـ بـالـفـلـسـفـةـ الـمـادـيـةـ الـتـيـ كـانـ يـؤـمـنـ بـهـاـ لـتـكـونـ مـسانـدـهـ لـهـ فـيـ إـلـقـاعـ وـالـبـرهـانـ؟ـ

لـقـدـ ذـهـبـ الـفـكـرـ الـهـلـنـسـيـ بـعـدـ سـقـراـطـ بـاتـجـاهـ تـقـدـيمـ الـحـكـمـ الـعـمـلـيـةـ عـلـىـ الـفـلـسـفـةـ الـنـظـرـيـةـ فـقـطـ انـهـارـ الـوـاقـعـ الـمـوـضـوـعـيـ وـالـسـيـاسـيـ بـعـدـ الـإـسـكـنـدـرـ الـكـبـيرـ 323ـ قـ.ـمـ،ـ وـبـدـأـتـ الـدـيمـقـرـاطـيـةـ وـالـمـدـيـنـةـ الـيـونـانـيـةـ تـقـدـمـ الـأـمـلـ وـسـادـ نـوـعـ مـنـ الـفـوـضـيـ فـبـحـثـ الـنـاسـ عـلـىـ أـلـمـانـ فـيـ الـأـخـلـقـ وـعـنـ طـرـيقـ الـخـلـاصـ الـفـرـديـ.

المصادر والـ مراجع

- راسل، برتراند، 2017، *تاريخ الفلسفه الغربية: ج 1، الفلسفه القديمه*، تر: زكي نجيب محمود، بيروت، دار التوير.
- ستين، ولتر، 2008، *تاريخ الفلسفه اليونانيه*، القاهرة، دار الكلمة.
- سعيد، جلال الدين، 1991، *أبيقور: الرسائل والحكم*، بيروت، الدار العربية للكتاب.
- طرابيشي، جورج، 2006، *معجم الفلسفه*، ط3، بيروت، دار الطليعة.
- فرنر، شارل، 1968، *الفلسفه اليونانيه*، تر: تيسير شيخ الأرض، بيروت، منشورات الأنوار.
- كارس، جيمس ب..، 1998، *الموت والوجود: دراسة لتصورات الغناء الانساني في التراث الديني والفلسفى العالمى*، تر: بدر الأبيب، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- كانت، أمانويل، 1980، *تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق*، تر: د. عبد الغفار مكاوى، ط2، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب.
- كرم، يوسف، 2016، *تاريخ الفلسفه اليونانيه*، القاهرة، آفاق للنشر والتوزيع.
- لوكريتيوس، *في طبيعة الأشياء*، تر: علي عبد التواب علي وأخرون، القاهرة، المركز القومى للترجمة.
- مراد، محمود، 2001، *مفهوم الحرية في الفلسفه اليونانيه*، الأسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر.
- ورنر، ريكس، 1985، *فلسفه الإغريق*، تر: عبد الحميد سليم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- إبراهيم، زكريا، 1960، *المشكلات الخلقية*، القاهرة، مكتبة مصر.
- أبو حسين، محمد رزق موسى، 2004، *الفلسفه الأبيقوريه أصولها وتطوراتها*، عمان، عالم الكتب الحديث للنشر.
- أبو ريان، محمد، 1974، *تاريخ الفكر الفلسفى: أرسسطو والمدارس المناظرة*، ج 2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أمين، عثمان، 1971، *الفلسفه الرواقية*، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.
- بران، جان، 1992، *الفلسفه الأبيقوريه*، تر وتعليق جورج ابو كم، دمشق، الأبجدية للنشر.
- بوناسي، بيار، 1980، *أبيقورس*، تر: بشارة صارجي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسة والنشر.
- توماس، هنري، 1964، *أعلام الفلسفه وكيف فهمهم*، تر: متري أمين، القاهرة، دار النهضة العربية.
- توماس، هنري، ودانالي توماس، 1970، *المفكرون من سocrates إلى Sartre*، تر: عثمان نويه، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.
- جنجن، اولف، 1976، *المشكلات الكبرى في الفلسفه اليونانيه*، تر: عزت قرنى، القاهرة، دار النهضة.
- جيدى، محمد، 2019، *الفلسفه الإغريقية: المرحلة الهلنستية*، ط2، الرباط، دار الأمان.
- ديورانت، ول، 2001، *قصة الحضارة: م 3 حياة اليونان*، تر: محمد بدران، القاهرة، دار الهيئة العامة للكتاب.

المراجع الأجنبية

- Maries, Julian, 1966, *History of Philosphy*, New York, Doven Publication.
- Sauders, Jason L., 1966, *Greek and Roman Philosophy After Aristotle*, London, Collier Macmillan Limited.

Can a Materialistic Philosophy Produce a Moral System? "Epicurean Model"

*Georg Elfar**

ABSTRACT

The main problem in this research was the answer to the question posed about the possibility of the existence of an ethical system based on a materialistic philosophy and not on an idealistic and metaphysical philosophy as was customary in establishing ethical systems. It has nothing to do with idealism or metaphysics. Rather, Democritus adopts the atomic materialist philosophy as its theoretical basis and does not depend on reason or divine laws as a criterion and judgment in moral issues, but rather nature, the sense of pleasure and the avoidance of pain as a spontaneous judgment of human and animal life alike. Therefore, this philosophy resorts to liberating man from the fear of death and the fear of the gods, so that this fear and anxiety do not spoil human life and deprive him of enjoying life itself. We have revealed in this research that the pleasure that the Epicureans are talking about is mainly the pleasure of the stomach, but it is not a reckless and exaggerated pleasure, but rather a pleasure that seeks simplicity and seeks to establish a calm life that is not disturbed by the pain resulting from the pursuit of more pleasures, the results of which are greater pain. The Greek philosopher Epicurus, who lived in the fourth century BC and a contemporary of both the Greek philosopher Aristotle and the philosopher Zeno, the founder of Stoicism that opposed his philosophical school, had established Epicureanism in Athens, Greece, to respond to the questions of the Greek public about the necessities of the historical stage and the decline of civilization after the death of Alexander Macedonian in 324 BC.

Keywords: Epicurus, Materialism, Ethics, Hellenistic Period, Metaphysics.

* Department of Philosophy, School of Arts, The University of Jordan.
Received on 27/3/2022. Accepted for Publication on 26/10/2022.